الفصل السابع

نتائج طوفان أكتوبر

إن نصر أكتوبر قد ترك آثارًا متنوعة وعديدة على كلا الجانبين العربى والإسرائيلى ونلخصها فيما يلى :

■ أولاً : نتائج حرب أكتوبر على الجانب العربى :

١- لقد نجح العرب فى استخدام البديل العسكرى، واستطاع الجندى العربى أن يجهض فى ساعات ما نسجه الإسرائيليون من أوهام فى أعقاب عدوانهم التوسعى فى يونيو عام ١٩٦٧م، وفى مقدمته خط بارليف الشهير .

٢- مثلت حرب أكتوبر مفاجأة استراتيجية كاملة للعدو الإسرائيلى، ليس فقط فى التوقيت، وإنما أيضًا من حيث الأسلوب والمكان، وليس هناك فى التاريخ العسكرى أمثلة مماثلة للمفاجأة الاستراتيجية الكاملة التى حققتها مصر وسوريا يوم ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣م.

٣- جاءت حرب أكتوبر نموذجًا للتنسيق العربى فى المواجهة ضد العدو، سواء من الناحية العسكرية أو الناحية الاقتصادية، وبذلك أثبت العرب أنهم أقدر على العمل الجاد المشترك .

٤- استطاع العرب من خلال حرب أكتوبر أن يُسمعوا صوتهم للعالم، وأن تجد قضية النزاع العربى الإسرائيلى آذانًا مصغية، وهكذا تحول موقف الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط عامة وتجاه الكيان الفلسطينى بصفة خاصة، كما اعترف المجتمع الدولى بالكيان الفلسطينى باعتباره طرفًا رئيسًا فى مشكلة الشرق الأوسط.

٥- تم استرجاع جزء هام من الأراضى العربية المحتلة وبخاصة قناة السويس وآبار البترول و سيناء.

٦- أثبت العرب كأمة وكجيش وكقيادة وكإنسان أنهم عند مستوى التحدى ضد العدو الإسرائيلى .

٧- مثل العرب العالم الثالث بأكمله، وهكذا فإن حرب أكتوبر تعد نقطة تحول فى تاريخ العلاقات الدولية، إذ إنه نتيجة لهذه الحرب استردت الدول العربية خاصة، والدول غير المنحازة عامة، مكانتها وكرامتها فى المجتمع الدولى، وأصبحت فى موقع يجعلها تستطيع أن تتعامل معاملة الند للند مع الدول الصناعية المتقدمة ومواجهة الدولتين العملاقتين (روسيا وأمريكا).

٨- اعتبرت معركة أكتوبر خطوة عربية فى سبيل التخلص من حالة الوضع القائم الذى حاولت إسرائيل فرضه فى الفترة من ١٩٦٧م - ١٩٧٣م، ولقد نجح العرب فى تحريك الموقف بإخراج مشكلة الشرق الأوسط من (ثلاجة) الوفاق الدولى، والانتقال إلى العمل من أجل إقامة السلام العادل فى المنطقة.

■ ثانيًا : نتائج حرب أكتوبر على الجانب الإسرائيلى :

لأول مرة فى الصراع العربى الإسرائيلى تصاب إسرائيل (بزلزال) ضخم متمثل فى حرب أكتوبر حيث ترتب عليها نتائج عديدة كما يلى:

١- اعتبرت حرب أكتوبر مفاجأة استراتيجية كاملة للمخابرات الإسرائيلية، وبهذا أثبتت حرب أكتوبر انهيار ذلك الوهم الذى طويلاً ما روجه الإسرائيليون حول (عصمة المخابرات الإسرائيلية من الخطأ).

٢- التدمير الكامل لخط التحصينات الإسرائيلى المعروف (بخط بارليف)، والذى أنفقت إسرائيل على إقامته أكثر من مليار ليرة، وكانت القيادة الإسرائيلية تعتبره قادرًا على الصمود حتى أمام أى هجوم مصرى، وكما وصفته المصادر الإسرائيلية ذاتها (لم يكن خط بارليف) مجرد سلسلة من المواقع الدفاعية المحصنة، وإنما كان

نظامًا مركبًا يقوم على الاعتماد على عناصر مختلفة من المدرعات والمدفعية ذاتية الحركة، وطريق المواصلات الطولية والعرضية، وقواعد الصيانة، والقيادات الخلفية القريبة، والتى كان بإمكانها تقديم المعاونة الفورية.

ولكن كما تقول صحيفة (الصنداى تايمز) البريطانية فى عددها الصادر فى ١٦ ديسمبر ١٩٧٣م: «فى خلال ساعات ست خاطفة، من خلال خطة مصرية تتسم بذكاء متوقد يوم السادس من أكتوبر، أثبتت مصر أن التخطيط الدقيق بالإضافة إلى حسن استخدام الأسلحة العصرية قد تمكنا من تحطيم الاستراتيجية الإسرائيلية).

٣- تبددت أسطورة (إسرائيل صانعة المعجزات)، كما قال المعلق الإسرائيلى (عينورا منور).

٤- أعادت حرب أكتوبر إسرائيل إلى حجمها الطبيعى فكسرت (ذراعها الطويلة)، وذلك بعد جسارة وحرفية رجال الدفاع الجوى المصرى فى إدارة حائط الصواريخ، وبراعة الطيارين المصريين، حيث اعترف الإسرائيليون أنفسهم وعلى رأسهم (أفرايم كاتزير) رئيس دولتهم أن إسرائيل كانت تعيش فيما بين عامى ١٩٦٧م و١٩٧٣م فى نشوة لم تكن الظروف تبررها، وهذه الحالة النفسية مسئولة - دون شك - عن الأخطاء التى حدثت قبل وبعد حرب الغفران .. إنه يجب علينا أن نتعلم بعد هذه الحرب

المروعة أن نكون أكثر تواضعًا وأقل نزوعًا إلى الماديات.

٥- انهيار رأس القيادة الإسرائيلية الملهم (ديان)، وتهاويه مع كل ما ملأ به آذان العالم من صخب حول قدراته الفذة ومنجزاته وأوهامه، كما صاحبته إلى الهاوية (جولدا مائير) التى لم يجد آباء وأمهات القتلى والأسرى الإسرائيليين منها سوى البكاء على حرب أكتوبر، وقولها إنها كانت (مأساة عاشت وسوف تعيش معى حتى الموت).

فضلاً عن حرب الجنرالات - التى بدأت عقب نصر أكتوبر - حيث أخذوا يكيلون لبعضهم البعض اتهامات التقصير والفشل بعد تعرضهم لزلزال يوم الغفران .

٦- أثبتت حرب أكتوبر أن نظرية الأمن الإسرائيلى قائمة على مجموعة من الأوهام بعد أن اسقطت وهم (أن القوة هى الوسيلة الوحيدة لإرغام العرب)، ذلك أن الجيوش العربية قد وضعت حدًا لأسطورة الجيش الإسرائيلى الذى لا يقهر .

- كما أن اعتماد نظرية الأمن الإسرائيلى على ما يسمى (بالحدود الآمنة) قد أثبتت حرب أكتوبر أنه وهم آخر، فلا يمكن لأية حدود قائمة على العدوان والتوسع أن تقف أمام إرادة التحرير واستعادة الحقوق، وخير دليل على ذلك سقوط خط بارليف الحصين وتهديد إسرائيل من (باب المندب) بدلاً من شرم الشيخ .

- ومن الأوهام التى انهارت أيضًا تصور إسرائيل أنها تحتكر

(النوعية) مقابل احتكار العرب (للكمية)، فلقد وضع الجندى المصرى والسورى أثناء تأدية مهامه القتالية حدًا لهذا التصور، وأثبت أنه يمكن تحسين (النوعية) على الجانب العربى وأنهم مقاتلون عسكريون من الطراز الأول .

- كما أثبتت حرب أكتوبر فشل الإسرائيليين فى تطبيق استراتيجيتهم القائمة على : الحرب الوقائية، الردع، الحرب الخاطفة . فلم يتمكن الإسرائيليون من شن حرب وقائية، وفشل السلاح الجوى فى تأدية وظيفته فى الردع .

■ عجز الموارد البشرية فى إسرائيل:

زاد عجز المجتمع الإسرائيلى بعد حرب أكتوبر من حيث نقص الموارد البشرية ومحدوديتها، ومن ناحية أخرى أدت إلى إزدياد معدل الهجرة المضادة من إسرائيل إلى الخارج، كما أدت أيضًا إلى انخفاض معدل الهجرة اليهودية إلى إسرائيل، ففى إحصاء نشر فى تل أبيب فى ١٤ أكتوبر عام ١٩٧٥م أوضح مكتب الإحصاء الإسرائيلى أن ٢٠٪ من الـ٢٠٠ ألف مهاجر الذين وصلوا إلى البلاد فى السنوات الخمس الماضية غادروا إسرائيل ومعظمهم من القادمين من الولايات المتحدة الأمريكية وغرب أوربا .

كما توصل معهد (يورى) الإسرائيلى للإحصاء فى أكتوبر عام ١٩٧٤م إلى أن معدل الهجرة الوافدة إلى إسرائيل قد بدأ

فـى الإنخفـاض بعـد أكتوبـر ١٩٧٣م بشـكل ملمـوس عمـا كان عليـه قبـل تلـك الحـرب، وأن ٨,٤ ٪ مـن بـين مجمـوع سـكان إسـرائيل يفكـرون جديًـا فـى النـزوح عنهـا بعـد تصفيـة أعمالهـم عامـى ١٩٧٥م و١٩٧٦م، بينمـا تقفـز هـذه النسـبة إلى ١٦,٨٪ بـين الشـباب الذيـن تـتراوح أعمارهـم مـا بـين ١٨ و ٢٩ سـنة وهـو سـن التجنيـد بالـذات .

وفـى إحصـاء إسـرائيلى صـدر فـى يوليـو ١٩٧٧م تبـين أن عـدد المهاجريـن إلى إسـرائيل تقلـص إلى ١٨ ألـف مهاجـر عـام ١٩٧٦م مـن بينهـم ٧ آلاف مهاجـر هجـرة مؤقتـة بعـد أن كان عـدد المهاجريـن عـام ١٩٧٢م هـو ٦٥ ألـف مهاجـر.

■ قوة الجيش المصرى والإسرائيلى عند اندلاع حـرب أكتوبر بالأرقام :

وجـه المقارنـة	الجيـش المصرى	الجيـش الإسرائيلـى
عـدد الجنـود	٣٠٠٠٠٠ جندى	٤١٥٠٠٠ جندى
طائـرة حربيـة	٤٠٠ طائرة حربية	٦٠٠ طائرة حربية
هليكـوبتـر	١٤٠ هليكوبتر	٨٤ هليكوبتر
كتيبـة صواريـخ أرض جـو	١٥٠ كتيبة صواريخ أرض جو	.....
دبابـات	١٨٠٠ دبابة	٢٣٥٠ دبابـة
قطعـة بحريـة	١٠٧ قطعة بحرية	٣٨ قطعـة بحريـة
مدرعـة	.....	٣٠٠٠مدرعـة

■ نتائج حرب أكتوبر بالأرقام:

كانت خسائر الجانبين على النحو التالى:

وجه المقارنة	الجيش المصرى	الجيش الإسرائيلى
شهيد أو قتيل	٨٥٢٨ شهيد	١٠٠٠٠ قتيل
جريح	١٩٥٤٩ جريح	٢٠٠٠٠ جريح
دبابة	٥٠٠ دبابة	١٠٠٠ دبابة
طائرة حربية	١٢٠ طائرة حربية	٣٧٢ طائرة حربية
مروحية	١٥ مروحية	٢٥ مروحية

أن الأرقام للخسائر على الجانبين المصرى والإسرائيلى واضحة لا تقبل نقاش والتى تبين أن النصر كان لمصر رغم وجود خسائر لدى الجانب المصرى، ولكن إذا ما قُرنت بخسائر إسرائيل فإن الخسائر المصرية أقل بكثير وهذا يوضح أن الغلبة لمصر وليست لإسرائيل.

وللرد على المدعين بأن نصر أكتوبر كان نصرًا محدودًا، فإننا وجدنا أفضل الطرق للرد على ذلك هو اعترافات الإسرائيليين أنفسهم والغرب بنصر أكتوبر المبين .. الذى كان بمثابة زلزال هز أرجاءهم.

□□□